

## سيميائية الأهواء والعواطف في مقامات الهمذاني

علي رضا محمد رضائي<sup>١</sup>، أمير فرهنك نيا<sup>٢</sup>

١. أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران، فريديس الفارابي

٢. طالب الدكتوراه - قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تربيت مدرس، طهران

(تاريخ الاستلام: ١٤٣٤/١/١٨؛ تاريخ القبول: ١٤٣٤/٤/٢٧)

### ملخص المقال

لا يمكن الفصل بين الأهواء والعواطف والتواصل. كل الأعمال التي تتجم عن الأهواء والعواطف ترتبط ارتباطاً وثيقاً بإدراك الشخص وتلقيه عن الأحوال والمقامات الاجتماعية وبالعلاقة ذات والآخر. ينظّم الناس أفكارهم وعقائدهم وصورهم الذهنية عن الأحوال الاجتماعية بصورة سهلة ذات دلالة، ثم يظهرها على مركب الصور اللغوية. يبدو أنّ الباحث السيميائي إذا أراد أن يتحدّث عن علامة الأهواء والعواطف في النصوص الأدبية، فلا بدّ أن يختار الصور اللغوية التي تدلّ على علاقات ذات بالآخر. وعلم اللغة باختصاص اللغة بالبشر، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بكثير من الحقول الدراسية والعلوم الإنسانية. الدراسات النفسية إحدى تلك الحقول التي ترتبط بعلم اللغة والتواصل. فيحاول هذا المقال، على أساس المنهج الوصفي التحليلي، أن يقرأ نصّ المقامات قراءة نفسية من منظور الذكاء العاطفي بأبعاده ومهاراته التي يمكن ملاحظتهما في ما يظهر من كلام شخصيات مقامات الهمذاني ومن سلوكهم. عندما يتواصل ذات بآخر فهو في الحقيقة يطبّق مستوى من مستويات أهوائه وعواطفه التي تدلّ على درجة استخدام المرسل ذكاءه العاطفي؛ إذ يؤكّد الذكاء العاطفي على إدارة المرسل والمرسل إليه خاصة عند القلق والأزمة؛ لأنّ من أهمّ ركائزه القدرة على ضبط النفس، والحماس والمثابرة والتعاطف الوجداني مع الآخرين، والقدرة على قراءة عواطفهم.

### الكلمات الرئيسية

الذكاء العاطفي، الأبعاد، المهارات، السيادة الاقتصادية، مقامات الهمذاني.

Email: amredhaei@ut.ac.ir

\* الكاتب المسؤول الهاتف: ٠٢٥-٣٦١٦٦٤٥٥

❖ تمّ إخراج هذا المقال عن مشروع دراسي برقم ٠٤/١/٢٢٠٤٠٠٢ مدعوماً بأرصدة دراسية خصّصتها معاونية الشؤون الدراسية بجامعة طهران.

## مقدمة

درج النص النقدي المعاصر على الإشارة إلى مستهلك النص الأدبي بتسميات متنوعة مثل: القارئ أو السامع أو المخاطب أو المرسل إليه أو المتلقي. إذا نظرنا في طبيعة التلقي، من حيث هي تعامل مع معنى الخطاب، يتمكن المبدع بالصورة التي يتخيّلها من أن يدفع بالمتلقي إلى إعادة التأمل في واقعه من خلال رؤية شعرية لا تستمدّ قيمتها من مجرد الجدة والطفرة والاستجابة لأنماط البلاغة التقليدية، وإنما من خلال قدرتها على استفزاز الحساسية وتعميق الوعي. فالنصّ الأدبي يقدّم لمخيّلة المتلقي جملة من الصور تستدعي من ذاكرته طائفة من الخبرات المختزنة تتجانس محتوياتها الشعورية مع صور النصّ الأدبي، مما يفرض عليه حالة نفسية خاصة؛ لا يكاد مستهلك النصّ يلامس العمل الأدبي حتّى ينبري له بكلّ أحاسيسه وأفكاره وأرصده الثقافية وتجاربه الذاتية، وبما يمكن أن يراه في النصّ من ميول الشخصيات ورغباتهم التواصلية، متكئين على القدرات النفسية وعلى استخدامها عند التواصل. يعتبر الذكاء العاطفي قدرة من تلك القدرات؛ إذ إنّ الذكاء العاطفي هو القدرة على إدراك وتقييم وإظهار العواطف بشكل مناسب، والقدرة على جلب العواطف وتوليدها مما يساعد على أداء الوظائف الذهنية، والقدرة على فهم واستخدام اللغة ذات الطابع العاطفي، كما أنّها قدرة المرء على التعامل مع مشاعره الخاصة في سبيل العيش بشكل أفضل وبناء علاقات اجتماعية فاعلة تؤدّي إلى تحسين حركية الحياة.

إنّ الدراسات التي عالجت المقامات، أكدت كلّها على الجانب الروائي لتدرس المعايير القصصية وما فيها من التشابهات المعيارية بالمعايير القصصية الحديثة. من أهمّ هذه الدراسات هو كتاب "السرد في مقامات الهمذاني" لأيمن بكر، الذي تركز اهتمامه على الجانبين: الروائي والنصّي. ولم يتعرّض للجانب النفسي، فضلاً عن المقالات التي أنجزها كثير من دارسي الأدب في بلدنا.

ولكن موضوع المقال هذا فريد من نوعه جداً، لا من ناحية المضمون والمحتوى بل من ناحية المنظور والرؤية.

فالمقالة تهدف إلى تحليل سيميائي عاطفي للصور اللغوية التي وردت في المقامات لبديع الزمان الهمذاني، التي تدلّ على تضافر العوامل الصرفية والنحوية في اكتناه دلالات سيميائية

لطيفة لم يصرّح بها بشكل مباشر، والتي تدلّ على سعة وقدرة تنظيم العواطف، واستخدامها في علاقات المرسل بالمرسل إليه، التي اختفت وراء تلك الصور اللغوية أي الرسائل.

النظرة النفسية إلى النصوص الأدبية، يمثل ما قمنا به في هذه الدراسة الوجيزة، تثبت بأنّ الأدب مرآة صافية تعكس الحضارات والثقافات وجميع العلوم والمعارف البشرية القديمة والحديثة العصرية التي نعتبرها حديثة بعنوانها وموضوعيتها ومنهجيتها، ولكنّها قديمة بحقيقتها وبوظيفتها، وبما يلعب من دور في تحسين العلاقات الاجتماعية وإدارة الذات والآخر. كما يهدف المقال أن يشرح أنّ الإبداعات الأدبية، تكون في كلّ أمة، مرآة تعكس شخصية المبدعين من جانب، ومن جانب آخر تدلّ على العلوم والبصائر والعقائد والقيم الحاكمة على المجتمع وتلك الأمة. فتثبت العلامات النفسية- الشخصية المنعكسة في تلك الإبداعات بأنّ المفردات والأصوات لا تبني بوحدها الصور اللغوية، بل العوامل النفسية تلعب دوراً هاماً في بناء تلك الصور. والذكاء العاطفي مبحث من مباحث علم النفس. ثمّ تأثّر به علم الإدارة وأخذ علماءها لتحسين العلاقات والتواصلات في ما بين المدير والموظّفين كما يهدف المقال أن يربط اللغة بعلم النفس ويتحدّث عن الصور اللغوية الواردة، في المقامات التي تكشف الستار عن الأبعاد والمهارات التي، تنطوي تحت الذكاء العاطفي الذي يستخدمها كلّ من الشخصيات الواردة في المقامات.

إنّ القيام بمثل هذه الدراسات ضروري جداً؛ لأنّ النظرة الجديدة إلى الصور اللغوية والأدبية تزيد من جانب على بواعث الطلبة، ودوافعهم لتعلّم اللغة العربية وآدابها، وعلى شعورهم بمكانتها العلمية المرموقة والسامية، ومن جانب آخر تقدّم نموذجاً لكيفية معالجة النصوص الأدبية معالجة نفسية. كما تقوّي، غير مباشر، جانب منظري علم النفس عبر النماذج المقتبسة من النصوص الأدبية بإحصاء الصور اللغوية التي يمكن الاستشهاد بها، قدر ما يمكن أن ترفض ما أبدوه من الآراء. كما يساعد علماء الإدارة بأن يستخدموا الأدب بإنتاجاته، لتحسين العلاقات الفردية والاجتماعية في كلّ منظمة أو دائرة؛ لأجل البلوغ إلى إدارة أفضل.

تحتلّ القدرة اللغوية مكانة بارزة في التنظيم العقلي للإنسان؛ ذلك لأنّ اللغة هي وسيلة الاتصال بين أفراد المجتمع، وهي الوظيفة التي يتميز بها الإنسان عن سائر الكائنات الحيّة. كما أنّها الوسيلة الأولى التي تنشأ بها المجتمعات والحضارات. ومن أهمّ مرتكزات القدرة اللغوية هي: عامل الفهم اللفظي، وعامل الطلاقة في اختيار الألفاظ لتناسب لفظاً معيناً،

وعامل الطلاقة الذهنية في التعامل مع الألفاظ. (الخصري الشيخ، ١٩٨٩، ص ٢١١)

فتأسيساً على تأثير الأحاسيس والعواطف على الفكرة والسلوك واللغة نعالج في هذه المداخلة الذكاء العاطفي وأبعاده ومهاراته والكفاءات العاطفية المتجلية في شخصية كل من الراوي والبطل في المقامات لبديع الزمان الهمذاني.

### الذكاء العاطفي

الذكاء العاطفي مظلة جمعت مجموعة من المهارات والخصائص الفردية والاجتماعية؛ لأن الذي يريد تعادلاً في السلوك والكلام، وتمتعاً بعمل أفضل وأحسن في المجتمع والأسرة، لا بد أن يكون له حاصل الذكاء (IQ) وحاصل العاطفة (EQ). تأسيساً على هذا، الذكاء العاطفي شكل من أشكال الذكاء الاجتماعي يشمل قدرة كبح الأهواء والأحاسيس والاستفادة من هذه المعلومات، كرائد إلى الفكر والعمل. «يملك الأذكيا عاطفياً القدرة على التواصل مع الآخرين، تواصلاً سلمياً متوازناً ومنضبطاً عاطفياً» (جولمان، ١٩٩٨، ص٥٨). كما فعل أبو الفتح منذ بداية حضوره في مقعد القريض بسكوته المطلق حيناً وأداء إشارات جسدية وعلامات حركية رمزية حيناً ومداخلته ومشاركته وإسهامه في الحديث عن الشعر والشعراء ليحصل إلى ما ينويه أن يستتج في المستقبل بتواضعه بالآخرين؛ إذ يعمل الذكاء العاطفي على توليد واستخدام طيف واسع من المشاعر الإيجابية واستخدام مهارات اجتماعية: كالاستماع إلى الآخرين وقراءة لغة أجسادهم وتعبيرهم غير اللفظية والتعاطف معهم. (بكار، ١٩٢٨، ص١٩)

### مهارات الذكاء العاطفي وأبعاده

تنقسم مهارات الذكاء العاطفي إلى:

- الخبرة بالأهواء والعواطف<sup>١</sup>
- إدراكها<sup>٢</sup>
- تنظيمها<sup>٣</sup>
- الاستفادة منها<sup>٤</sup>

1. Identifying emotions
2. Understanding other emotions
3. Regulating emotions
4. Using emotions

كما ذهب جُردمن إلى أبعاد الذكاء العاطفي التالية:

- الوعي بالذات<sup>١</sup>
- تنظيم الذات<sup>٢</sup>
- التحرض والتحفز<sup>٣</sup>
- التقمص العاطفي<sup>٤</sup>
- المهارات الاجتماعية<sup>٥</sup> (زارعي، ٢٠٠٩، ص٤٠)

فمن كان ذا الأبعاد والمهارات الأنفة الذكر، فقد نال كفاءة عاطفية تنطوي تحتها الكفاءة الفردية والاجتماعية. والكفاءة العاطفية قدرة مكتسبة قائمة على الذكاء العاطفي، مؤدية إلى تحسين الأعمال في البيئات الاجتماعية أو التواصلية. تأسيساً على هذه الكفاءة ندرس المقامات كي نستنتج هذا النص للكشف عن وجود الكفاءتين وأجزائهما في بطل المقامات، عبر صورها اللغوية المتولفة.

#### الكفاءات الفردية والاجتماعية في المقامات

الراوي عيسى بن هشام في علاقته الاجتماعية، يمزج العاطفة والذكاء منذ بداية المقامة القريضية؛ حيث يريد أن يؤثر على المخاطب، كي يرافقه ويستمتع إلى ما يرويه، فيبدأ باستخدام العاطفة حين يقول: «طرحني النوى مطارحها، فاستظهرت على الأيام بضياح أجلت فيها يد العمارة، وأموال وقفتها للتجارة، وحنوت جعلته مثابة ورفقة اتخذتها صحابة وجعلت للدار حاشيتي النهار وللحنوت ما بينهما فجلسنا يوماً نتذاكر القريض وأهله» (الهمداني، ٢٠٠٢، ص١٨).

فيبدو هناك أن الراوي خبير بأحاسيس الأسرة وعواطفها، كما يكون مدركاً بعواطف الذات والآخرين - أي الرفقة - بحيث يقسم الوقت بين المثابة وبين الأسرة فينظمها - أي يحاول من البداية - أن يكبح جموح الأحاسيس والعواطف التي تميل إلى الانحياز لأسرته أحياناً

1. Self-awareness
2. Self regulation
3. Motivation
4. Empathy
5. Social skills

ولرفقته أحياناً؛ لأنّ الذكاء العاطفي كما قلنا آنفاً، شكل من أشكال الذكاء الاجتماعي الذي يشمل قدرة كبح الأحاسيس والأهواء، (زارعي متين، ٢٠٠٩، ص ٣٩) التي نقلها بديع الزمان، كمبدع، في أشكال وطرق متنوعة؛ إذ إنّ «الخاصية اللغوية يمكن أن تشير انفعالات متعددة ومتميّزة، تبعاً للسياق الذي ترد فيه، وينتج عن ذلك أنّ نفس الانفعال يمكن أن نشيره بوسائل أسلوبية متعددة. وهكذا يكون تركيب الأسلوب وما ينتج عنه من أثر انفعالي مطابقاً لخاصية الدوال والمدلولات في الدراسة اللغوية. وبهذا تمتلك الأسلوبية سبلها الخاصة بها، مثلما للغة الخطاب هذه السبل الخاصة بها» (عبد المطلب، ١٩٩٤، ص ٢٢١). كما حاول الراوي أن يثير الانفعال بتركيب استعاري استعطاقي بدأ المقامة به، ويواصل فيه بتظليل روح المودة والمحبة على النصّ.

كل هذه الصور اللغوية تؤيد أول حاجة نفسية نراها في التقسيم الثلاثي الذي ذهب إليه العالم النفسي "كارن هرنبي":

١ - حاجة البشر إلى الالتفات إلى الآخرين أي الحاجة إلى المحبة والمودة.

٢ - حاجة البشر إلى الابتعاد عن الناس أو الرغبة في الاستقلال والحرية.

٣ - حاجة البشر إلى القدرة والافتقار والسلطة. (شاملو، ٢٠٠٣، ص ٩٥)

كما تخبرنا العبارات من بداية النص إلى نهايته «ويسكت وكأنه لا يعلم» (الهمذاني، ٢٠٠٢، ص ١٨)، عن «التقوية للذات»<sup>١</sup> و«تنظيمها»<sup>٢</sup> الذي ذهب إليه "بندورا"<sup>٣</sup> قائلاً: «إن السلوك يتأثر بنا وبنفسيتنا، أو للبشر قدرة على ردود الفعل المناسبة، تسمح لنا أن نكبح جموح أهواءنا، فيكون سلوكنا متأثراً متأثراً متقابلاً بالعوامل الداخلية والخارجية» (شاملو، ١٣٨٢، ص ١١٧). وعملية التأويل والتحليل تمهد لنا إمكانية معالجة جميع التعينات الدلالية، فتختار معنىً خاصاً لإبلاغ خاص في ظروف معينة. كما ذهب إليه "جون لاينز"<sup>٤</sup> و"ليفي شتراوس"<sup>٥</sup>، من أنه لا يمكن تصديق استقلالية الوحدات اللغوية، فتكون قيمتها في ما تؤدّيه من وظيفة، وفي تفسيرنا لها

1. Self-reinforcement
2. Self-regulation
3. Bandura
4. J. Lyons
5. Lévi-Strauss

ونظرتنا إليها. (محمدرضايي، ٢٠١٠، ص١٣٥) في المقامة المطلوبة: «حدّثنا عيسى بن هشام، قال: اجتمعت يوماً بجماعة كأنّهم زهر الربيع، أو نجوم الليل بعد هزيع، بوجوه مُضيّة، وأخلاق رضية. ... وفي وسطنا شابّ قصير من بين الرجال، محفوف السّبال، لا ينبس بحرف، ولا يخوض معنا في وصف» (الهمداني، ٢٠٠٢، ص٢٤٦).

والاسكندري يفرض احترام الآخرين له بالصمت، بصمته المهيب؛ إذ يعدّ الصمت دليل ذكاء وفهم ألغاز الدنيا، والكائن الصامت يظلّ قوة سرّية لا تتكشف إلّا في لحظة النطق، حيث لحظة النطق هي لحظة الكشف الأخير؛ فالبطل يصمت حتى تحين لحظة الكلمة القاطعة. لا شك أن هذا الصمت خير وسيلة تمسكّ بها البطل، ليلفت انتباه الآخرين إليه؛ فيدلي بدلوه في الوقت المناسب. بمثل ما نراه في المقامة الجاحظية: «ومعنا على الطعام رجل تُسافرُ يدهُ على الخوان، وتسفرُ بين الألوان وتأخذ وجوه الرغفان... وهو مع ذلك ساكتٌ لا ينبس بحرف...» (الهمداني، ٢٠٠٢، ص٦٧).

وكما يروي الراوي حالات البطل في المقامة الحرزية عندما كانت السفينة على وشك الغرق، بأنّه كان هادئاً مرتاح البال: «وفينا رجل لا يخضلُ جفنه، ولا تبتلُ عينه رخيُّ الصدر مُنشرحه، نشيطُ القلب فرحه، فعَجِبنا والله كلُّ العجب» (الهمداني، ٢٠٠٢، ص١٠٠).

ترافق التنظيم للذات وكبح الأهواء مؤلفة أخرى وهي الثقة بالنفس التي لها دور رئيس في إدارة الأهواء والعواطف، ونراها عند أبي الفتح في قمتها: «ولو شئتُ لَلْفَطْتُ وأفضتُ، ولو قُلتُ لأصدرتُ وأوردتُ، ولَجَلوتُ الحقَّ في معرضِ بيانِ يسمعِ الصمَّ وينزلُ العَصمَ» (الهمداني، ٢٠٠٢، ص١٨).

كما نرى أنّه يبدأ كلامه في المقامة السجستانية بالثقة الكاملة بالنفس، حين يقدم نفسه: «من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي. أنا باكورة اليمين، وأحدوثة الزمن...» (الهمداني، ٢٠٠٢، ص٢٨).

وفي المقامة العراقية يظهر البطل في زيّ رجل متكدِّ. فعندما سأله عيسى بن هشام، عن بلاغته وفصاحته متعجباً بهما، يقدم أبو الفتح الاسكندري نفسه بالثقة الكاملة: «من العلم، رُضت صعباه، وخُضتُ بحارّه» (الهمداني، ٢٠٠٢، ص١١٧).

كذلك يعرف نفسه في المقامة المارستانية بهذه الأبيات:

أنا ينبوع العجائب      في احتيالي ذو مراتب  
 أنا في الحقّ سنّام      أنا في الباطل غارب  
 أنا إسكندر داري      في بلاد الله سارب  
 أغتدي في المدير قسيساً      وفي المسجد راهب

(الهمذاني، ٢٠٠٢، ص ١٢٦)

أبو الفتح، كما نعلم، هو مجموع من الممكنات يستطيع حسب هواه إخراجها إلى الفعل واحداً بعد الآخر، وإنه ليس ملازماً، إلّا بصورة مؤقتة، للمظهر الذي يبدو فيه. (كيليطو، ٢٠٠١، ص ٣٩) من الواضح أنّ هذه الممكنات التي تمثلها شخصية أبي الفتح ترتبط بمحورين رئيسين فيها: أولهما هو العلم الذي يتملّ في العلم باللغة وأساليبها والأدب وفنونه وتاريخه، وثانيهما هو القدرة على التلون والتشكل لمجاراة الأيام التي ضاع فيها كلّ صاحب عقل و علم، وفاز فيها كلّ متحماق، بما يبررّ التناقض الظاهر في سلوك الاسكندري. (بكر، ١٩٩٨، صص ٨٣-٨٤)

إنّ الدراسات الحديثة تدلّ على أنّ تأثير كلّ أسلوب من أساليب توجيه الفرد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالظروف والأحوال التي يقع فيها [المتكلم أو المبدع أو المرسل أو القائد أو المدير. فكلّما تناسبت أساليب الهداية والقيادة بالظروف تعتبر القيادة مؤثّرة وإلّا كانت غير مؤثّرة. (Hersey and Blanchard, 1988, p203) تدلّ تجربة القيادة والسيادة على أنّه لا توجد لها أحسن طريقة وأسلوب لمعاملة الآخرين وإدارتهم. بل تتأثر كيفية التأثير فيهم بمستوى استعدادهم وتأهبهم، فسميت هذه بالقيادة أو "السيادة الاقتضائية" التي نرى بعض متحركاتها في المقامة في ما يلي:

#### ١. سلوك تواصلّي<sup>٢</sup>:

يشمل التواصل المتبادل بين طرفي الخطاب كما يشمل الدعم الاجتماعي- العاطفي وتوسيع دائرة البواعث والمشاركة الإجتماعية التي نراها عبر الصور اللغوية التالية: «قال: قد أصبتم عذيقه ووافيتم جذّيله. ولو شئت للفظت وأفضت. ولو قلت لأصدرت وأوردت... فقلنا: ما تقول في امرئ القيس؟... والمتأخرون أطف صنعا وأرق نسجا» (الهمذاني، ٢٠٠٢، ص ١٨).

1. Expediently leadership or management
2. Relationship-oriented behavior

قد يؤدي هذا الدعم الاجتماعي- العاطفي إلى توسيع دائرة البواعث والأغراض السلبية بدل الإيجابية، كما فعل أبو الفتح، عندما قام الراوي بتشريكه في العلاقات الاجتماعية وتسيح المجال له للمداخلة والإسهام؛ إذ قال له: «فلو أريت من أشعارك ورويت لنا من أخبارك. قال: خذها في معرض واحد. وقال: أما تروني أتغشى طمراً ممتطياً في الضرّ امرأً مرأً...» (الهمداني، ٢٠٠٢، ص ٢٠).

كما يقول ابن هشام استمراراً للمقامة المطلوبة: «حتى انتهى بنا الكلام إلى مدح الغنى وأهله؛ وذكر المال وفضله؛ وأنه زينة الرجال وغاية الكمال؛ فكأنما هبّ من رقدة، أو حضر بعد رقدة؛ أو حض بعد غيبة؛ وفتح ديوانه وأطلق لسانه؛ فقال: صه؛ لقد عجزتم عن شيء عدمتموه؛ وقصرتم عن طلبه فهجّتموه؛ وخُذتُم عن الباقي بالفاني؛ وشغلتُم عن النَّائِي بالَداني» (الهمداني، ٢٠٠٢، ص ٢٤٧).

ذلك الصمت أولاً، ومن ثمّ يتبعه الاحتجاج بهذا الشكل بسبب تطير السامعين مما يسمعون؛ وتحزب المتلقين أثناء سماعهم للبطل، بين مؤيد ومناصر له ومخالف له؛ فيمكن القول: إنّ البطل ذكي عاطفياً؛ لأنّ لديه القدرة على فهم وتحديد ووصف العواطف التي يعيشها وإظهارها بشكل مناسب؛ بعبارة أخرى، له القدرة على تحديد حالته الشعورية الإيجابية والسلبية في كلّ لحظة؛ كما يمتلك مهارات التواصل مع الآخرين، لاسيما مع الجانب العاطفي الشعوري لديهم؛ عبر المهارات الاجتماعية؛ كالاستماع إليهم، وقراءة لغة أجسادهم، وتعابيرهم غير اللفظية والتعاطف معهم.

لا شك أنّ العلاقات الودية مع الآخرين والتوجه الإيجابي نحوهم، قد سبب أن تنسى الجماعة مظاهر الخلق في البطل، كما قال بديع الزمان في بداية المقامة: وفي وسطنا شاب قصير من بين الرجال. (الهمداني، ٢٠٠٢، ص ٢٤٦) صحيح أنه قصير ونحيف من بين رجال الجماعة، وليس له بنية جسمانية رائعة؛ ولكن المهارات المذكورة قد لفتت الأنظار إليه، وجعلته أكثر هدوءاً منهم، وأكثر ثقة بأنفسهم، وأكثر نجاحاً. إضافة على هذا هو استخدام فنّ الإنصات، وهو دالّ على أن الأشخاص الأذكىاء ليسوا أكثر كلاماً، بل الأكثر استماعاً؛ فاكسب بهذا الفنّ القدرة على التأثير في الناس؛ ومن ثمّ اكتساب حبّهم، والتفاوض بنجاح معهم، بحيث تؤدي إلى نتائج مرغوبة: «فأشار إلى أنّه يفزع من السلطان، ولا يثق على أحد من الإخوان؛ فقلنا له: قد سمعنا حجّتك، وقيلنا معذرتك، فإن رأيت أن تحسن إلينا، وتمنّ علينا،

وتعرّفنا أحد هذين المطلبين على أن يكون لك الثلثين، فأمال إلينا يده وقال: من قدّم شيئاً وجده، ومن عرف ما ينال هانّ عليه بذل المال، فكلّ منّا حباه بما حضر، وتشوّق إلى ما ذكر، (الهمداني، ٢٠٠٢، ص٢٤٨). إنّ ثقة البطل بنفسه هي الطريق الرئيس نحو الارتباط بالمتلقين، وأثر في تحسين مكانته من جانبهم. جدير بالذكر أنّ كلّاً من الصوت والكلمات يلعب دوراً هاماً في التواصل مع الآخرين؛ لأنّ الجسد ينقل للآخرين - دون التكلم - حالة الإنسان، وتدلّ على المتلقين، هل هو منفتح على الآخرين، وواثق بنفسه اجتماعياً، ويتمالك نفسه أم لا؟

## ٢. مستوى الاستعداد والتأهب<sup>١</sup>:

يشمل مدى بلوغ الفرد إلى الكمال المرجوّ، كما يشمل مدى قدرة المتوقع منه ومدى تمكنه ورغبته في القيام الناجح بالمهام. بمثل ما لاحظنا من إعلام أبي الفتح عن تأهبه للإعراب عن أحوال الشعر والشعراء، وكشف الستار عن كفاءاته الفردية، فيستخدم في البداية "القدرة الخلاصة الفردية" ليفسح المجال للبلوغ إلى ما كان ينيوه، والراوي في النهاية يتقمّص "تقمصاً عاطفياً" يتعرف به على الأحاسيس وما يحتاجه الآخرون من الحوائج وميولاتهم ورغباتهم؛ إذ يصرح قائلاً: «فانلته ما تاح» حتى نبلغ إلى لغة الوعي بالذات واللاداعي حين قال: «وأعرض عنا فراح فجعلت أنفيه وأثبته وأنكره وكأني أعرفه...» (الهمداني، ٢٠٠٢، ص٢١). ما أنس لا أنس، إنّ لغة إدراك الذات - أي الوعي - تختلف عن لغة اللاوعي: الأولى تتألف من البنى والكلمات والمعاني التي نستخدمها يومياً. وللثانية لغة تصويرية استعارية، يحتاج إلى المفاتيح لحلّ الشفرات أو الرموز؛ انطلاقاً من أن للذهن اللغتين. فلا بدّ لنا أن نقرأ النصّ قراءتين مختلفتين: قراءة لإدراك المعاني والدلالات الظاهرية التي في الوعي والشعور، وقراءة لتلقي الدلالات الخفية العميقة التي تكون كامنة وراء اللاوعي واللاشعور. وهذا دليل على "تعددية الوقائع" التي يعيش الإنسان في عالمها، وفي عالم المعاني العديدة التي تختلف بعضها عن بعض.

يؤكد بارت «أن الكتابة هي في واقعها نقض لكل صوت، كما أنها نقض لكل نقطة بداية (أصل). وبذا يدفع بارت المؤلف نحو الموت، بأن يقطع الصلة بين النص وبين صوت بدايته، ومن ذلك تبدأ الكتابة التي أصبح بارت يسميها بالنصوصية<sup>٢</sup>، بناءً على مبدأ أن اللغة هي التي

1. Readness

2. Textuality

تتكلم وليس المؤلف. والمؤلف لم يعد هو الصوت الذي خلف العمل أو المالك للغة أو مصدر الإنتاج، ووحدة النص لا تتبع من أصله ومصدره، ولكنها تأتي من مصيره ومستقبله، ولذا يعلن بارت بأننا نقف الآن على مشارف عصر القارئ. ولا غرابة أن نقول إن ولادة القارئ لا بد أن تكون على حساب موت المؤلف» (الغذامي، ١٩٨٨، ص ٧١-٧٢). والقارئ حرّ في التفسير والتحليل؛ إذ كلّ نص نسيج ملتفّ وممتدّ يتجاوز حدود الكتابة أو النطق، ويخترق الفضاءات الخفية والعصية، وهي فضاءات النسق الثقافي، [والروحي أو النفسي] الذي يجعل من النص مركزاً للتأويل. (الكعبي، ٢٠٠٥، ص ١١٤) بمثل ما نلاحظ في المقامات بشكل «حوار قصصي يملأه الكاتب بالبراعة الأسلوبية التي تبين عن ملكته اللسانية وتستدرّ عطف الناس على بطله المغترب بالرغم من فصاحة لسانه وروعة بيانه من جهة أخرى» (مسعود جبران، ٢٠٠٤، ج ١، ص ٤٥٥).

النص على أية حال، ليس أكثر من وعاء معلومات. ففيما يتعلق بالمنتج، يقدم عملياته الداخلية. وهذه لا يجب على المنتج أن يكون واعياً بها، ولكنها يمكن في الغالب أن يوجّه جزءاً منها بالإرادة. وهكذا يتعلق بالمقاصد أيضاً ما يرد داخل النص. ومع ذلك فليس منتج النص حرّاً. بل هو مقيد بقيود وحدود منظورية وما إليها من الحالات النفسية المتحركة أو المتغيرة التي تؤثر في إصدارات المنتج. بمثل ما لاحظناه عن أبي الفتح في ظروف وحالات متعددة. خاصة في الأخيرة، عندما يقوم بالمكر والخداع عبر إنشاد أشعار عاطفية يلفت بها انتباه الآخرين ليخدعهم، فينجح.

فالشخصية كما كان يعتقد العالم النفسي الأمريكي "هري ستاك سالفين"<sup>1</sup> ظاهرة مفترضة لا يمكن الفصل بينها وبين الظروف الاجتماعية والتواصل. يعني أنّها تتغير بتغير الظروف والأحوال الاجتماعية... (شاملو، ٢٠٠٣، ص ٩٢) كما رأينا أنّ أبا الفتح قد تلون بحالات مختلفة، قد صرح بها وعلّنها في كلّ من المقامات إذ قال في المقامة القريضية:

ويحك هذا الزمان زور  
فلا يغرّك الغرور  
لا تلتزم حالة، ولكن  
در بالليالي كما تدور

(الهمذاني، ٢٠٠٢، ص ٢١)

1. Harry Stack Sullivan

وكما نراه في المقامة الحرزية عندما يبيع الحرز بالخداع والمكر، ثم يعرفه الراوي بأنه ذلك الاسكندري المخادع، فيسأله عن أسرار أفعاله، يجيب:

ويك لولا الصبرُ ما كنتُ      مألأتُ الكيسَ تَبِيراً  
لن ينالَ المجدَ من ضا      ق بما يغشاه صدرا

(الهمداني، ٢٠٠٢، ص ١٠٠)

المقامة الوعظية كما يظهر من عنوانها، تكشف عن متمسك ومتخلق بالقيم الدينية، كما تتم عن تغيير الشخصية في مقام آخر، بل تبديلها وتلوّنها عند مقتضى الحال: «أيها الناس إنكم لم تتركوا سدى، وإن مع اليوم غداً وإنكم واردوا هوة، فأعدوا لها ما استطعتم من قوة. وإن بعد المعاش معاداً...» (الهمداني، ٢٠٠٢، ص ١٠٨).

كما يتحدث في المقامة المطلوبة عن القيم الأخلاقية والزهد والدعوة إلى بذل الأموال: «هل الدنيا إلّا منأخ ركبٍ وتعلّة ذاهبٍ؟ وهل المال إلّا عاريةٌ مرتجعةٌ ووديعةٌ منتزعةٌ؟ ينقل من قوم إلى آخرين، وتخزنه الأوائل للآخرين، هل ترون المال إلا عند البخلاء دون الكرماء والجهال دون العلماء؟» (الهمداني، ٢٠٠٢، ص ٢٠٤).

كما يدعي في المقامة الإصفهانية، بأنّه قد رأى النبيّ الكريم ﷺ في المنام يأمره بأن يبلغ إلى الأمة رسالة، فيخاطب الناس: «من كان منكم يحبّ الصحابة والجماعة، فليعزني سمعه ساعة؟» (الهمداني، ٢٠٠٢، ص ٥٠).

فالبطل يظهر في المظاهر المختلفة، وحيل متعددة، تدعو إلى الكثير من الإعجاب. فهو بطل في الكدية، وبطل في المغامرات، وبطل في الفصاحة والشعر، كما في القريضية، وشخصية دينية في المطلوبة والإصفهانية.. وهو يبدو أعمى في المكفوفية ومصطحباً طفلاً صغيراً في البخارية، وشخصية فكاوية من الطراز الأوّل، عليها بنى كيان المقامات ورونقها ونجاح مغامراتها ونشاط حركتها. (الشكعة، ١٩٥٩، ص ٢٣٤)

### الخاتمة

من النتائج التي توصلت إليها المقالة:

- تأسيساً على هذا التحليل اللغوي- النفسي، نلاحظ سيميائية عاطفية تدلّ على مجموعة من الكفاءات الفردية:
- على قدرة الراوي والبطل على إدراك الذات: إدراك الأحوال وما له الأولوية والأهمية والتعرّف على القدرات والأحاسيس.
- على تقتهما بالنفس: كما لاحظنا قوة شعورهما وأحساسهما بالقيم الإنسانية وكراماتها.
- على إدارة الذات: كما رأينا إدارتهما لأحوالهما الذاتية ولبواعثهما ومثيراتهما ولقدراتهما ولأهوائهما وعواطفهما.
- على تنظيم الراوي والبطل لذاتهما: للحيلولة دون المثيرات المضرة التي يمكن أن تطغى عليهما.
- على تأثير الثقة بالنفس في البلوغ إلى المآرب والحاجات.
- على قدرة البشر للانطباق والانعطاف بظروف شتى وحلّ العقد منها.
- على الابتكار والقدرة على تقديم المعلومات الجديدة والتصاوير المتغيرة حسب الظروف المتحركة، بمثل ما نرى في تصرفات أبي الفتح، عندما تحدّث عن الشعر والشعراء، وعندما أخبر عن حاله وأولاده وزوجته كاذباً ليثير دفائن الجماعة لينزلوا عطفهم وحنانهم عليه مدراراً.
- على البواعث التي توسّع الميول والرغبات.
- على التفاضل: لأننا نرى البطل يلحّ على الاستمرار في التصوير للبلوغ إلى الأهداف.

## المراجع

١. بكار، عبد الكريم (١٩٢٨م). *القوة في يدك، كيف تنمي ذكاءك العاطفي*. الرياض: مكتبة العبيكان.
٢. بكر، أيمن (١٩٩٨م). *السرد في مقامات الهمذاني*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٣. جولمان، دانييل (١٩٩٨م). *الذكاء العاطفي*. ترجمة ليلى الجبالي، الكويت: سلسلة عالم المعرفة.
٤. الخضري الشيخ، سليمان (١٩٨٩م). *الفروق الفردية في الذكاء*. مصر: دار الثقافة للطباعة والنشر.
٥. زارعي متين، حسن (٢٠٠٩م). *مديريت رفتار سازماني بيشرفته*. طهران، نشر آگاه.
٦. شاملو، سعيد (٢٠٠٣م). *مكتبها ونظريهها در روانشناسي شخصيت*. ط ٧، طهران: انتشارات رشد.
٧. عبد المطلب، محمد (١٩٩٤م). *البلاغة والأسلوبية*. مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر.
٨. الغدامي، عبد الله (١٩٨٨م). *الخطبة والتكفير*. ط ٤، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٩. الكعبي، ضياء (٢٠٠٥م). *السرد العربي القديم: الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
١٠. كيليطو، عبد الفتاح (٢٠٠١م). *المقامات السرد والأنساق الثقافية*. ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، ط ٢، المغرب: دار توبقال للنشر.
١١. محمدرضايي، علي رضا (٢٠١٠م). *أثر الترجمة على دلالة الكلمات*. مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد ١٠، السنة السادسة، ربيع وصيف.
١٢. مسعود جبران، محمد (٢٠٠٤م). *فضون النشر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب*. بيروت: دار المدار الإسلامي.
١٣. الهمذاني، بديع الزمان (٢٠٠٢م). *مقامات*. شرح علي بوملحم، بيروت: دار ومكتبة الهلال.
14. Hersey, J. E. & Blanchard (1988). *Management of Organizational Behavior*. 5<sup>th</sup> Ed, New Jersey: prentice-Hall.